ومن العلماء الذين يرجع أصلهم إلى جزيرة ابن عمر اشتهر في بلاد الشام المؤرخ محمد بن إبراهيم شمس الدين الجزري[1] الذي ولع بالتاريخ فضلاً عن اهتمامه بعلم الحديث وعرف بأنه كان عدلاً أميناً صنف في التاريخ كتاباً بعنوان (حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه)[2] في جزأين تبدأ حوادثه في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي مرتباً على السنين وينتهي بسنة وفاة أبن الجزري سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٩م[3] وصف بأنه كان كبيراً[4] وحافلاً[5] ومشهوراً، وذكر المؤرخ الصفدي أن شمس شمس الدين الجزري كان حسن المذاكرة صادقاً ولكن يحتوي تاريخه على عجائب وغرائب[6] قال ابن كثير انه (كتب فيه أشياء يستفيد منها الحافظ كالمزي والذهبي والبرزالي يكتبون عنه ويعتمدون على نقله)[7]، بينما أضاف المؤرخ أبن العماد الحنبلي أنه أنه ((ذكر فيه أشياء حسنة لا توجد في غيره))[8].

ومن المرجح أنه ما ذكر بصدد إحتواء تاريخ أبن الجزري على أشياء عامية غريبة يقصد منه انه ذكر حوادث وأشياء عامة ولم يقتصر تسجيله للحوادث والوفيات على ما يتعلق بالمشاهير فقط بل تطرق إلى ما لم يهتم به المؤرخون التقليديون في ذلك العصر، وهذا بجانب ما عرف به أبن الجزري من صدق وأمانة في النقل بحيث اعتمد عليه كبار المؤرخين الثقاة كما أشرنا وهذا أعطى تاريخ شمس الدين الجزري ميزة كبيرة وهي التفرد ببعض المعلومات التاريخية التي لا توجد في غيره.

---

[1] لفظة الجزري، أصابها تصحيف في بعض المصادر وأصبحت الخزرجي في كتاب أعيان العصر، ج٣، ص١٥١٥، أبن كثير، كتاب البداية والنهاية، ج١٤، ص١٣٧.

[2] الكتاب لم يطبع بعد وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ الذهبي انتقى حوادث ووفيات تاريخية من تاريخ تاريخ شمس الدين الجزري وجمعه في مجلد وسماه (المختار من تاريخ أبن الجزري) الذي حققه خضر عباس المنتداوي ونشر ببيروت سنة ١٩٨٨.

[3] المقريزي، السلوك، ج٣، ص٢٦٢، هامش رقم (٥).

[4] ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص١٢٤.

[5] ابن كثير، مصدر سابق، ص.

[6] أعيان العصر، ج٣، ص١٥١٥ " الوافي بالوفيات، ج٢، ص٢٢

[7] البداية والنهاية، ج١٤، ص١٣٧.

[8] شذرات الذهب، ج٦، ص١٢٤

وقد اشتهر الفقيه خليل بن إسحاق الكردي المالكي المعروف بالجندي (ت ٧٦٧هـ/١٣٦٦م) بكونه عالماً فاضلاً زاهداً له مصنفات فقهية على المهذب المالكي[١]، كما واهتم بعلم التاريخ ورغب في معرفة السير وتراجم المشاهير ويتبين ذلك من خلال قيامه بتدوين ترجمة حياة الشيخ عبدالله المنوفي أحد شيوخه الذي تفقه على يديه الشيخ خليل في الفقه المالكي والكتاب يتضمن سيرة شيخه بعنوان (مناقب الشيخ عبدالله المتوفي)[٢].

نخلص مما سبق إلى أن الاتجاه العام في التدوين التاريخي خلال حقبة البحث انعكس في جهود مؤرخي الكرد التي تتجلى في الاهتمام بكتابة التاريخ العام مرتباً على السنين من جهة، والإلمام الكبير بكتابة السير والتراجم سواء سيرة شخص لوحده أو تراجم عامة لمشاهير العلماء والأدباء والشخصيات البارزة لأنه وكما يقول روزنتال إن ارتباط التاريخ بالتراجم في الإسلام شكل وسيلة مؤثرة للنظر إلى الحياة الواقعية باعتبار أن تحليل الإنسان وآماله هما المصدر الوحيد للتطور الثقافي[٣].

إن ما خلفه مؤرخو الكرد من نتاجٍ في مجال التدوين التاريخي على الرغم من عدم كثرتها من حيث الكمية ولكنها مهمة وبارزة من حيث النوعية فكتاب (وفيات الأعيان) يعد اشهر ما صنف في مجال التراجم الإسلامية، والحال هكذا بالنسبة لكتاب المختصر في أخبار البشر (وتقويم البلدان) لأبي الفداء اللذان يتميزان بنسق مرتب وجدية المعلومات المدونة فيها كتاب تاريخ شمس الدين الذي خرج المؤلف فيه نسبياً عن تقليد المؤرخين بتدوين وتكرار تسجيل ما يتعلق بالمشاهير فقط، ونعتقد أن تلك المؤلفات التاريخية والجغرافية كانت من حيث المنهج والاهتمام تتسم بنوع من الجدية والأمانة، الأمر الذي أدى إلى قبول العلماء لها واشتهارها في مختلف المناطق.

---

[١] ابن القاضي المكناس، درة الحجال، ج١، ص٢٥٧.

[٢] أبن فرحون، الديباج المذهب، ج١، ص ٣٥٨ " ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص١٧٥ " حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٨٤٢، البغدادي، هدية العارفين، ج١، ص٣٥٢.

[٣] علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة : صالح احمد العلي، (بغداد : ١٩٦٣)، ص٢٦٩.

ب. الفلسفة

شهد الفكر الفلسفي في الإسلام منذ البداية نوعاً من التطور والنمو لا سيما بعد ازدهار حركة الترجمة، لذا اخذ بعض علماء المسلمين يتبعون اثر قدماء الفلاسفة اليونانيين ويضيفون إضافات فكرية إلى بعض المفاهيم الفلسفية وأخذوا يمزجونها بأفكارهم وكان لهم القدح المعلى في إحياء حكمة اليونان، ونظراً لان التفكير الفلسفي يهتم بمعرفة حقيقة الأشياء، وغالباً يكون تفكيراً خارج إطار الدين وخطابه وخاصة الدين الإسلامي لذا نلحظ أن الفلاسفة المسلمين اصطدموا بمشكلات فلسفية كقدم العالم وحدوثه والوحي وخلق الأفعال وما إلى ذلك، وإن التصدي لهذه المشاكل خارج نطاق الدين يعد بحد ذاته انحرافاً عن جادة الشريعة ولهذا نلحظ أن النطاق الفلسفي الذي باشره الفلاسفة المسلمون كان ضيقاً ولا سيما بعد أن انتقد الإمام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ/١١١١م) الفلاسفة المسلمين وكفر بعضهم[١]. ولذلك لم يبرز في هذا المجال إلاّ عدد قليل من العلماء مقارنة بالمجالات المعرفية الأخرى.

ومن أبرز من اشتهروا في مجال الفلسفة الشيخ عز الدين الحسن بن محمد بن احمد نجا الأربلي الضرير[٢]، الذي كان اصله من نصيبين وانتقل إلى أربل فنشأ بها، اشتغل في أول أمره بالحكميات والفلسفة بأربل عند بعض شيوخها ثم انتقل إلى الموصل ثم رحل إلى بلاد الشام سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٧م فاشتهر بها[٣]. وكان منقطعاً بمنزله بدمشق يتردد إليه الناس فيقر بينهم علوم الأوائل إلى أن توفي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م كان يعدّ من الأذكياء وله حرية وافرة[٤].

---

[١] ينظر، محمد محمود رحيم الكبيسي، نظرية العلم عند الغزالي، دراسة نقدية لطرق المعرفة (بغداد، ٢٠٠٢)، ص ص ٢٧٩-٣٠٠.

[٢] للمزيد عنه ينظر : محسن محمد حسين، العز الضرير الاربلي، بحث منشور في مجلة المجمع العلمي الكردي، بغداد، ١٩٧٧، ج٥، ص ص٤٣٩-٤٤٩.

[٣] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص١٦٧.

[٤] الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٥١-٦٦٠هـ)، ص٤١٢ " الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٣٦٢ " ابن تغري بردى، الدليل الشافي، ج١، ص٢٦٨

يعدّ العز الضرير من فلاسفة عصره، إذ ذكر أنه كان رأساً في العقليات[1] ورأساً باهراً في علوم الأوائل[2]، وكان ((فاضلاً في سائر العلوم جميعها وله ذهن خارق في كل فن))[3]، وأشارت المصادر إلى أنه كان بدمشق يقرئ أهل الكتاب والفلاسفة، ويتردد إليه أهل الملل من السنة والشيعة واليهود والنصارى والسامرة وغيرهم[4].

يستدل من هذا أنه كان فيلسوفاً من الأذكياء على صلة مستمرة بطلاب العلم ونظراً لأن أصحاب التفكير الفلسفي كانوا أقلية قليلة بين علماء المسلمين خلال تلك الحقبة، لذا فإن المترددين عليه لم يكونوا من المسلمين فقط بل شاركتهم أصحاب الديانات الأخرى من الذين اشتغلوا بالفلسفة عليه.

وصف العز الضرير من قبل بعض المؤرخين بأنه كان رافضياً يصرح بتفضيل علي على أبي بكر (رضي الله عنهما)[5] وكباقي من مارسوا التفكير الفلسفي في الإسلام، أتهم العز ببعض الاتهامات، كقلة الدين والانحلال وترك الصلوات وعدم التوقي من النجاسات[6]. ((وكان يصدر منه من الأقوال ما يشعر بانحلاله وفساد عقيدته ولم يكن يصلي ولا يفعل شيئاً من الفرائض فيما قبل عنه واشتهر..))[7]، ومع ذلك يتردد إليه الناس وكان يتمتع بالحرمة عند الجميع، ونقل عن الأمير عز الدين أبي الهيجاء الأربلي الذي لازم العز الضرير عندما احتضر الأخير أنه قبيل موته تلا هذه الآية ((**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**))[8] وقال صدق الله العظيم وكذب ابن سينا[9]. ونقل عنه أنه

---

(1) الذهبي، العبر، ج٣، ص ٢٩٨ " أبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص ٣٠١.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٢٣، ص ٣٥٤ " الصفدي، نكت الهميان، ص ١٤٢.

(3) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص ٥٠١ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ص ٢٦٨-٢٦٩.

(4) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢١٦ " الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٤١٢ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٤٧.

(5) الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٣٦٢، ابن تغزي بردى، المنهل الصافي، ج٥، ص١٢٤.

(6) ابو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢١٦ " الذهبي، العبر، ج٣، ص ٢٩٨ " الصفدي، نكت الهميان، ص١٤٢ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص ١٧٦.

(7) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج٢، ص ١٦٥.

(8) سورة الملك / الآية ١٤.

(9) الذهبي، تاريخ الإسلام، ص ص٤١٢-٤١٣، الكتبي، عيون التواريخ، ج٢، ص٢٧٢، الصفدي، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٢، ص ص٢٤٧-٢٤٨.

قال : ((أنا على عقيدة علماء الحنابلة))[1] ما يدل على تمسكه بأهداب الدين حتى آخر لحظة في حياته[2]. ومما سبق يلاحظ البحث في سيرة العز الضرير مسائل نلخصها كالآتي:

١. إن العز الضرير كان مهتماً بالعلوم العقلية، واشتغل بالفلسفة منذ أن استقر بأربل وأخذ العقليات من بعض شيوخها، مما يدل على أنه كان يوجد بمدينة أربل إبان حقبة بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي من يهتم بالحكميات والفلسفة حتى تضلع فيها ولكن لم يكتف العز الضرير بما أخذه من شيوخ أربل، بل ارتحل طالباً إلى أن استقر في دمشق حيث اشتهر.

٢. أنه نبغ في مجال الفلسفة حتى اصبح شيخاً فيه، قصده طلاب النظر العقلي، ونظراً لان الفلسفة لم تكن تدرس في المدارس الإسلامية الموجودة عصرئذٍ، لذا اتخذ العز الضرير من بيته مدرسة يلتقي فيها الفلاسفة وطلاب العلم من المسلمين وغيرهم، وهذا بحد ذاته يدل على انفتاح المسلمين وحالة خاصة تدل على طبيعة تنوع أساليب طلب العلم التي هي إحدى ميزات الحضارة الإسلامية.

٣. ركز بعض المصادر كما أشرنا على ما قيل عن العز الضرير من فساد عقيدته وانحلاله وتركه للصلاة، على الرغم من أن هذه تعدّ أقوالاً لم تؤكدها المصادر بل اكتفى بنقلها ضمن ما قيل عن العز الضرير. إن هذه الاتهامات أطلقت على الفلاسفة المسلمين قبل العز الضرير وبعده نرى أنها لا تطلق جزافاً، ولكن تجدر الإشارة أن التفكير خارج النطاق الديني والتعامل مع غير المسلمين بهذا الشكل فضلاً عما ذكر عنه من تشيعه يكفي لإتهامه من قبل بعض مناوئيه بالانحلال والانحراف ولكن نعتقد أن هناك نوعاً من المبالغة في ذلك نظراً لأن إنحلاله وتكفيره. والمعروف من بَدَرَ منه شيئاً ينافي الشريعة ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف في ذلك العصر يستناب من قبل القاضي. وإن أبى وأصرّ فيباح دمه ويقتل وان صح ما اتهم به العز الضرير وهو في دمشق مع كثرة إختلاطه بالناس لماذا لم يقم عليه بينة يدينه بها القاضي؟ ولماذا لم يعتزله الناس بل يترددون إليه ويحترمونه إلى أن توفي؟

---

[1] الذهبي، م.ن، ص٤١٣.

[2] محسن محمد حسين، العز الضرير الاربلي، ص٤٤٣.

وكان إسماعيل بن سعيد الكردي المصري من مشاهير علماء الكرد في مصر في علم القراءات والفقه والنحو وكان يحفظ الكثير من التوراة والإنجيل ((وكان طليق العبارة سريع الجواب، حسن التلاوة، وكان لا يزال الحاوي في الفقه والعمدة في الحديث والحاجبية في كمة))[1]، إلاّ أنه أتهم بالزندقة لأسباب منها أنه ((قد نظر في المنطق فدخل في كلام لا فائدة فيه ... وأنه كان مشهوراً بالعلم بين الفقهاء، وله فضيلة مشهورة في الأدب وكان كثيراً ما يتماجن ويمزج ويجترئ على الألفاظ الموبقة حتى اشتهر بإسماعيل الكافر ومنهم من يقول إسماعيل الزنديق))[2]. وذكر انه كان يتجاهر بالمعاصي، وحفظت عنه العظائم في حق الأنبياء عليه السلام فعقد له مجلس بحضور القضاة وأفنى بعضهم بضرب عنقه فضرب عنقه سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م[3].

وتأسيساً على هذا يظهر أنه كان من العلماء الذين مارسوا نشاطاتهم العلمية بنوع من الانفتاح والتنوع ونعتقد أن هناك ثلاث أسباب أدت إلى إثارة الشكوك حول سلامة عقيدته الإسلامية، أولاً: اهتمامه بالتوراة والإنجيل وحفظه الكثير من متونهما. ثانياً: انشغاله بالمنطق والخوض في المسائل الفلسفية، ثالثاً. كونه كثير الهزل بحيث سمعت منه من الأقوال والكلمات ما أدى إلى تكفيره وقتله.

وقد تنوعت اهتمامات الحكيم حسن بن أحمد بن زفر الاربلي العلمية ولا سيما بعد ان انتهت رحلاته واستقر في دمشق، ففضلاً عن عنايته بعلم التاريخ كما نوهنا سابقاً كان مهتماً بالعلوم العقلية ومنها الفلسفة إلى أن توفي سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م وذكر انه كان فيلسوفاً صادقاً في نقله ولكنه اتهم كباقي الفلاسفة بأنه مظلم في دينه[4].

---

(١) الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٣٠١.

(٢) ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٣٩٢.

(٣) المقريزي، السلوك، ج٣، ص٣٢ " ابن حجر، م.ن، ص٣٢ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٥٠ " محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي (القاهرة، ١٩٨٠م)، ج١، ص١٧١.

(٤) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص٣٩٩، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج٢، ص٩٢، ابن تغري بردى، المنهل الصافي، ج٥، ص ص٦٥-٦٦.

ثالثاً. العلوم اللسانية والموسيقى

لم يقتصر إسهام الكرد في الحضارة الإسلامية خلال عهد المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام على النواحي العلمية التي تطرقنا إليها في المبحثين السابقين حسب بل كان لهم اثر كبير في تطوير مجال النحو وعلم اللغة وفي ميدان الشعر والموسيقى الذي يدل على تنوع السبل التي حاولوا من خلالها خدمة الحضارة الإسلامية، ومن أهم العلوم اللسانية التي برز فيها علماء الكرد ما يأتي:

آ. اللغة والنحو

ظهر في مصر وبلاد الشام خلال حقبة البحث علماء من الكرد اهتموا باللغة العربية ونحوها، وعلى الرغم من أن بعضهم كانوا من الفقهاء ومن الذين تنوعت نشاطاتهم العلمية

في نحو الإمام شرف الدين حسين بن إبراهيم الهذباني الكوراني الاربلي الذي كان لغوياً أديباً عارفاً بكلام العرب حفظ (ديوان المتنبي) و (الخطب النباتية)و (مقامات الحريري) وكان يقرئ هذه الكتب ويحل مشكلها توفي بدمشق سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م. وكان ديناً جليلاً تخرج به جماعة من العلماء[١].

وقد بلغ في بلاد الشام اسم الشيخ مجد الدين احمد بن علي الاربلي الحنبلي، الذي كان عالماً نحوياً وإماماً في الفقه والعربية، استقر في دمشق واشتغل بالنحو في جامع دمشق وانتفع به الطلبة وذكر انه كان بصيراً بحل (المفصل) [٢] توفي سنة ٦٥٧هـ /١٢٥٩م[٣].

وأما في مصر فقد ازداد اهتمام العلماء بالنحو وعلوم اللغة العربية، وظهر نحويون برعوا في هذا الميدان على رأسهم ضياء الدين صالح بن إبراهيم الاسعردي الفارقي الذي وصف بالإمام النحوي الكبير، أتقن العربية وتصدر للإقراء وتعليم النحو في القاهرة توفي

---

[١] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ج١، ص١٢٥-١٢٦ " الذهبي، العبر، ج٣، ص٢٧٩ " الغساني، العسجد المسبوك، ص٦٤٤ " السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٥٢٨.

[٢] المفصل : كتاب في علم النحو للزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م) يتكون من أربعة أقسام : الأول في الأسماء، والثاني في الأفعال، والثالث في الحروف، والرابع في المشترك في أحوالها " حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص ١٧٧٤.

[٣] أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٠٢ " الذهبي، تاريخ الإسلام، ص٣١٥ " ابن رجب، على طبقات الحنابلة، ج٤، ص ٢٦٨ " ابن مفلح، المقصد الأرشد، ج١، ص١٤٥ " السيوطي، بغية الوعاة، ج١، ص٣٤٤.

سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م، وكان مشهوراً بالخير والصلاح[١]. ويعد معاصره القاضي الفقيه صدر الدين موهوب بن عمر الجزري من علماء اللغة في مصر، حيث برز في النحو والأصول ودرس وأفتى، وتخرج عليه الطلبة توفي بمصر سنة ٦٦٥هـ/١٢٦٧م وكان يعد من فضلاء زمانه[٢]. وصنف كتاب (الدر المنظوم في حقائق العلوم)[٣].

وكان الملك المؤيد صاحب حماه مشهوراً بمحبته للعلم ومشاركته المشهودة في مجالات ثقافية متعددة، اهتم بعلم اللغة وبرع فيه، إذ صنف كتاب (الكناش) في مجلدات كثيرة[٤]وهو في النحو والصرف وأجاد فيه[٥]. كما وشرح كتاب (الكافية الشافية للنحو)[٦]، وهذا يدل على خبرة الملك المؤيد ودرايته بعلم النحو وإنشغاله به بجانب العلوم الأخرى التي نبغ فيها.

وقد اهتم الفقيه شمس الدين ابن اللبان الاسعردي بالنحو وذكر انه كان عارفاً بالعربية، جمع كتاباً في النحو، توفي بمصر سنة ٧٤٩هـ /١٣٤٨م[٧] وشرح كتاب (الألفية في النحو) للإمام ابن مالك النحوي ت ٦٧٢هـ/١٢٧٣م[٨].

نخلص مما سبق إلى أن جهود علماء الكرد الذين برعوا في النحو واللغة العربية كانت نصب في مجمل نشاطاتهم العلمية في مجال العلوم الدينية، إذ إن أغلب أولئك العلماء كانوا ملمين بالعلوم الشرعية واشتهروا فقهاء ومقرئين وساهم علماء الكرد في خدمة النحو واللغة العربية بثلاث طرائق أولها: التدريس وتخريج الطلبة، وثانيها : تصنيف بعض الكتب النحوية وثالثها: شرح بعض مشاهير الكتب النحوية.

---

[١] الذهبي، م.ن، ص ص ١٩٢-١٩٣ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٢٤٦ " ابن تغري بردى، الدليل الشافي، ج١، ص٣٤٩ " السيوطي، م. ن، ج٢، ص٨.

[٢] الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ص٣٥٧-٣٥٨ " ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، ج٢، ص٨ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٢٠.

[٣] السيوطي، بغية الوعاة، ج٢، ص٣٠٩.

[٤] الصفدي، أعيان العصر، ج١، ص٣٠٤، الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص١٨٤، الحنبلي، شفاء القلوب، ص٤٦١.

[٥] الزركلي، الأعلام، ج١، ص٣١٩ " محمود رزق سليم، عصر سلاطين المماليك، مج٣، ص ١٥٥.

[٦] حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص١٣٧٤ " صلاح الدين المنجد، أعلام التاريخ والجغرافية عند العرب، (بيروت : ١٩٦٣)، ج٣، ص ص ٣١-٣٢.

[٧] الأسنوي، طبقات الشافعية، ج٢، ص٣٧٠ " ابن قاضي شهبة، مصدر سابق، ج٢، ص ص ٢٠٥-٢٠٦ " ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٦، ص ص ١٦٣-١٦٤.

[٨] حاجي خليفة، مصدر سابق، ج١، ص١٥٣.

ب. الشعر

يمثل عهد المماليك البحرية في مصر وبلاد الشام مرحلة تعدد الاتجاهات الأدبية وتنوعها في تاريخ الأدب العربي[1]، إذ شهدت الحقبة التي يشملها البحث ظهور العديد من الأدباء الذين خلفوا بصماتهم على الأدب العربي، على الرغم من أن الشعر العربي خلال تلك الحقبة شهد ازدهاراً ولكن لا يمكن مقارنته على الأقل من حيث النوعية بالعصور الإسلامية السابقة التي تزخر بالنتاجات الإبداعية، ومن الباحثين من يرى أن العصر المملوكي يعدّ عصر الانحدار في الأدب العربي[2]، ولكن مع ذلك بقي الشعر رائجاً ومتداولاً، إذ ظهر من بين أدباء تلك الحقبة بعض شعراء الكرد الذين نبغوا في أكثر من مجال ولكن نتطرق إلى من اشتهر شعرهم وأشاد بهم المؤرخون.

يعدّ الملك الناصر داؤد بن عيسى الأيوبي من مشاهير شعراء الكرد في بداية عهد المماليك البحرية، وهو ابن الملك المعظم صاحب دمشق، خلف والده في حكم دمشق سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٧م، أحبه أهل دمشق ولكن لم يحكم فيه كثيراً حيث دخل في صراعات داخلية مع بعض سلاطين وأمراء البيت الأيوبي واصبح حاكماً على الكرك مدة من الزمن ومن ثم تقلبت ثم تنقلت به الأحوال إلى أن توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[3]. ويذكر المؤرخ المقري في حقه انه ((وهو ممن أدركته الحرفة الأدبية، ومنع حقه بالحمية والعصبية، وأنكرت حقوقه وأظهر عقوقه حتى قضى نحبه، ولقي ربه))[4]. لم يكن للملك الناصر خلال السنوات التي قضاها بعد سقوط الدولة الأيوبية إلى سنة وفاته شأن سياسي يذكر، بل كان يعدّ من أدباء عصره اهتم بتحصيل العلوم وتفقه على مذهب الأمام أبو حنيفة وكان

---

[1] ينظر : محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي، (القاهرة : ١٩٨٠).

[2] جودت الركابي، الأدب العربي من الانحدار إلى الإزدهار، (دمشق : ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ص ص ١٢٦-١٢٨.

[3] للمزيد حول ذلك ينظر : أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢٠٠ " اليونيني، ذيل مرآة الزمان، الزمان، ج١، ص ص١٢٦-١٨٤ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٤٩ " ابن تغري بردى، الدليل الشافي، ج١، ص٢٩٦.

[4] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطب، تحقيق إحسان عباس، (بيروت : ١٩٦٨)، ج٢، ص٤٠٨.

عالماً فاضلاً له اليد البيضاء في الشعر والأدب[1]. خلف الملك الناصر قصائد شعرية أشارت إليها اغلب المصادر التي ترجمت له. ومن شعره (من الطويل) :

إلا هـي إلا هي أنت أعلا وأعـلـم بتحقيق ما تبدى الصدور وتكتم
وأنت الـذي ترجـا لـكـلِ عظيمة وتـخـشـى وأنـت الحـاكـم المـتـحكم
إلى علمك العلوي أشكو ظلا متى وهـل لـسـواه يـنـصـف المـتـظلـم[2]

وقد نبغ في بلاد الشام الشاعر محمد بن عبدالعزيز بن عبدالرحيم بن رستم المشهور بالنور الاسعردي، الذي حظي برعاية الملك الناصر يوسف الأيوبي صاحب دمشق (ت ٦٥٩هـ /١٢٦١م)، اذ استدعاه الناصر فجعله من ندمائه وخلع عليه، وبهذا ازدادت شهرته، واصبح من كبار شعراء الملك الناصر، إلى ان توفي سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م [3]. وعلى الرغم من انه لم يتجاوز من العمر سبعاً وثلاثين سنة واضر قبل موته ولكن اشتهر بكونه الأدبي العالم الذي نظم الشعر الرائق وغلب عليه المجون والهزل وخلف ديواناً شعرياً بعنوان (سلافة الزرجون في الخلاعة والمجون) الذي كان يحتوي على أشياء كثيرة من النظم والنثر فضلاً عن بعض القصائد لشعراء آخرين [4].

ومن الشعراء الآخرين الذين حظوا برعاية الملك الناصر الأيوبي صاحب دمشق الفيلسوف الشاعر عزالدين حسن بن محمد المشهور بالعز الضريري الأربلي، وكما أشرنا في المبحث السابق كان عالماً متعدد المجالات والمشارب ولكن اشتهر فيلسوفاً شاعراً وكان الملك الناصر يحترمه وخصص له راتباً جيداً توفي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م وقد أصيب بالعمى ونعت

---

(١) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٥١-٦٦٠هـ)، ص ٢٣٩ " الصفدي، تحفة ذوي الألباب، ج٢، ص١١٥ " الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٤١٩ " ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص ص٦١-٦٢" ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٢٧٥" نعمان قساطلي، الروض الغناء في دمشق الفيحاء، (بيروت : ١٩٨٢)، ص ٦٣.

(٢) الدواداري، كنز الدرر (الدرة الزكية في اخبار الدولة التركية)، ج٨، ص١٥.

(٣) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص١٩٩ " أبن الجزري، المختار من تاريخ ابن الجزري، ص٢٥٣ " الكتبي، مصدر سابق، ج٣، ص٢٧١ " ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٥٩.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام (٦٥١-٦٦٠هـ)، ص٢٨٩ " الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص ص ١٨٨-١٩١ " نكت الهميان، ص٢٥٥ " الكتبي، عيون التواريخ، ج٢٠، ص ص ١٨٩-١٩١ " العيني، عقد الجمان، ج١، ص١٨٩ " حاجي خليفة، كشف الظنون، ج٢، ص٩٩٥، الزركلي، الاعلام، ج٧، ص٢٩.